سلـطة الترجمــة
قراءة في كتاب: أنطوان بيرمان، عصرالترجمة "مهمة المترجم" لـ"وا لتر بنيامين"، تعليق

حسان راشدي
جامعة سطيف - 2 -

"لا شيء أكثر خطورة من ترجمة" جاك دريدا

ملخص:
يعتبر "والتر بنيامين" من أكبر الفلاسفة الألمان للقرن العشرين، وهذا فضلا عن كونه من ألمع منظري الترجمة في العصر الحديث. وقد استمد "و. بنيامين" مكانته هذه أساسا من مصنفين نفيسين في مجال التنظير للترجمة « Traductologie »؛ الأول تحت عنوان: "في اللغة بعامة وفي اللغة البشرية" (1916). والثاني؛ "مهمة المترجم" (1923).
ولعل من أهم ما كُتب في فكر "و.بنيامين"، من شروح وتعليقات، كتاب بعنوان: "عصر الترجمة" لأحد مؤسسي الفكر الحديث في مجال الترجمة وعلومها؛ "أنطوان بيرمان". هذا الأخير الذي حاول التعامل مع فكر "و. بنيامين" بحثا عن الدور الذي وكل بالترجمة في مجال علاقة النصوص بألسنتها، وعلاقة الألسن بعضها ببعض بوساطة الترجمة ذاتها. هذه مهمة هذه الأسطر، وكم هي صعبة وخطرة.

I **Résumé** I: « Le pouvoir de la traduction »
Walter Benjamin est l'un des grands philosophes du XXe siècle. Il est aussi une référence dans le domaine de la théorie contemporaine de la traduction. En effet son célèbre texte intitulé: « La tâche du traducteur » est reconnu comme une

introduction non contournable dans le domaine du « translation Studies ».

Antoine Berman, (1942-1991) est l'un des traducteurs français reconnu du XXe siècle. Dans son livre posthume: « L'Âge de la traduction. », Il commente la théorie bermanienne de la traduction. Nous sommes donc devant une critique précieuse de la traduction; soit du rapport du texte à sa langue, ou du rapport des langues entre elles.

1 - خريطة الكتاب:

خصص "بيرمان" في شتاء (1984-1985) حلقة دراسية عن كتاب "والتر بنيامين" الموسوم بـ: "مهمة المترجم" (1929) La « tâche du traducteur »[1]. وقد جعل "بيرمان" محاولة الكشف عن نظرية الترجمة عند "و. بنيامين"، الهدف الأساس من هذه الحلقة الدراسية.

ومثل هذا العمل الذي قام به "بيرمان" له ميزته الخاصة، حيث نجده يقارن في دراسته بين النص الترجمة والنص الأصل، أي أنه يقوم بقراءة تحليلية نقدية للعمل وترجمته. مما سمح للرجل بـ: "تحليل المنطق الداخلي الخاص لنص مترجم ذي أهمية بيداغوجية معتبرة."[2] وهذا ما أكسب هذه الدراسة قيمة إضافية كونها دراسة محققة ومدققة لعمل يعد اليوم -على الرغم من صغر حجمه- مرجعا أساسا من عيون المراجع المتعلقة بالنظرية الحديثة للترجمة. ذلك أن أهمية الكتاب تكمن في أنه في الوقت الذي نروم فيه البحث عن موقف "بنيامين" من الترجمة، فإننا نقرأ موقف "بيرمان" نفسه منها. إنها لعبة المرايا المتجاورة.

"عصر الترجمة" مقسم إلى "كراسات" « cahiers » بلغ عددها العشر. وهي الحصص العشرة التي قدمها "بيرمان" ضمن حلقة دراسية لطلبة المعهد العالي للفلسفة ضمن برنامج حول الترجمة. وقد تم توزيعها في الكتاب على النحو الآتي:

الكراسة الأولى: وهي عبارة عن افتتاحية « Ouverture » للكتاب، لخص فيها "بيرمان" الحديث عن فلسفة "بنيامين" في اللغة، التي استمد أسسها العامة من فلسفة اللغة لدى أفلاطون المعروفة بـ: "ميتافيزيقا اللغة". ثم تحدث "بيرمان" عن الخصائص الخمس المميزة لفكر "بنيامين" الفلسفي، ليكشف بعدها عن "بنيامين المترجم". ويختم الكراسة الأولى بالحديث عن "مهمة المترجم" لـ:"بنيامين" باعتبارها الافتتاحية التي وضعها "بنيامين" عند ترجمته لبعض من قصائد "بودلير" « Baudelaire » الموسومة بـ: "لوحات باريسية" « Tableaux Parisiens ».

أما باقي **الكراسات الأخرى [2-10]**؛ فقد وضعها "بيرمان" تحت عنوان مشترك هو: "التعليق « Le commentaire » . وأمام ملاحظات "بيرمان" الدقيقة والمتتبعة لفكر "بنيامين" الفلسفي حول الترجمة والفعل الترجمي، يصبح من المجازفة الوقوف على قراءة "عصر الترجمة" لـ:"بيرمان" في مقال واحد، وهو العمل الذي ينسب إليه رسم تخوم نقد حديث للترجمة وأطر تحليلها. ذلك أن "مهمة المترجم" من نمط تلك النصوص التي لا توجد إلا مرة واحدة في كل قرن. ومن ثمة "يتعذر تجاوزه، إذ منه ينطلق كل تأمل في الترجمة حتى وإن كان رافضا لها."[3] فهذا الكتاب يعد من عيون الكتب التي جمعت التجربة الألمانية في مجال ترجمة النصوص الدينية كالإنجيل، وغير الدينية بما فيها نصوص الرومانسيين الألمان. فهو باختصار أهم "نص مركزي يتعلق بالترجمة إبان القرن العشرين."[4]

2- إشكالية العنوان: مفارقة العنوان ومضمونه

ما علاقة العنوان بمضمون الافتتاحية التي دبلجها "بنيامين" لكتابه؟ هذه هي القضية التي انطلق منها "بيرمان" في مناقشته لعبارة "مهمة المترجم" « La tâche du traducteur ». فمثل هذا العنوان "يفترض أن للمترجم مهمة، ومهمة بعينها على الخصوص. وكأن النص كله إجابة عن سؤال ضمني: وإذا، ما هذه المهمة الخاصة الموكولة بالمترجم؟[5]

يرى "بيرمان" أن مثل هذا السؤال، لا يقدم شيئا ملموسا يمكن الاطمئنان إليه، ناهيك عن الوثوق به. بل على العكس من ذلك، يراه يثير جدلا فيما يتعلق بالمهمة الحقيقية التي يجب أن يضطلع بها المترجم بعيدا عن ما ينسب إليه في العادة من مهمات مزيفة أو ثانوية[6] وما يبطن به "بيرمان" موقفه هذا هو أن حدود النشاط الترجمي لم تكن معلومة الرسم عند تناول "بنيامين" هذه القضية. بينما أن كل من الشعر والنقد، كانت حدود نشاطاهما معروفة لدى الدارسين والنقاد، سواْ من حيث الجنس أو الوظيفة.

ولعل هذا ما دفع بعض مؤرخي الترجمة ومنظريها، إلى اعتبار أن الترجمة فعل خاص بالشعر أو النقد لا يعدوهما إلى نشاط آخر. وهذا - مع الأسف- هو التقليد الذي هيمن ردحا غير قصير من الزمن، ممتدا من "نوفاليس" « Novalis » إلى "مارسيل بروست"« Marcel Proust ». وهو التصور الذي وقف حجر عثرة في تخصيص مهمة بعينها للمترجم نفسه، ينفرد بها بين مهمات النشاطات الأخرى التي قد يرتادها المترجم وغير المترجم؛ من شعراء ونقاد وفلاسفة وحتى مؤرخين. فما سر اختيار "بنيامين" لهذا العنوان الملغز؟

يرى "بيرمان" أن اختيار "بنيامين"،"مهمة المترجم" عنوانا لكتابه، وبهذه الصيغة، فليثير الانتباه إلى ضرورة إعادة تحديد مهمة المترجم، أو مناقشة تلك الأفكار السائدة عنه على أقل تقدير. وفي هذا محاولة لإعطائه حقه في الحركة الفكرية والحضارية التي أبعد عنها. ولن يتأتى ذلك- في قناعة بنيامين- إلا بإعادة التفكير في ما ألفه الناس من قبل. وعليه يعتبر "بيرمان" أن "عنوان النص بمثابة إعلان عن إعادة تعريف نقدي للترجمة.[7] ومن ثمة يستخلص "بيرمان" أن ما يجري حينئذ على المترجم، يخص في الوقت نفسه الترجمة، إذ يتعذر بحال، الفصل بينهما تحت أي منطق كان.

وإذا كان العنوان يشير إلى تحديد نقدي لمهمة المترجم، فما هي المهمة التي دأبت التقاليد على إناطتها بالمترجم، والتي لحقه ما لحقه بسببها؟ وهي التي يدعو "بنيامين" إلى إعادة النظر في حدودها. إنها الأمانة « fidélité »، ذلك أنه لم يكن يطلب من المترجم في عمله

إلا أن"ينجز التحويل الأمين للأعمال من لغة إلى أخرى"[8]. فالمترجم في هذه الحالة يجابه قوة التناكب بين ثقل الأمانة، وقوة الحرية. ويعتبر "بيرمان" أن مثل هذه المهمة الموكولة إلى المترجم، من شأنها أن تكبله بقيود لا قبل له بها، ولا طاقة له عليها. ذلك أنه "وهو يُخضع لقانون الأمانة، يحمل المترجم بالمسؤولية في الآن نفسه؛ فمن يقول "مهمة" يقول "مسؤولية "، و"واجب"[9]. ويقر "بنيامين" بعد كل هذا أن المترجم مهما أوتي من بعد نفاذ في الفهم، وقوة في التحكم في سحر اللغة، ودرجة عالية في الأمانة، فإنه لن يستطيع أن يفي بحق النص الأصلي.

ومن هذا يتأكد لدى "بيرمان" أننا ونحن نتحدث في عمل المترجم، فإننا نجد أنفسنا نتحدث عن الترجمة في حد ذاتها وهذا يتأكد مرة أخرى لدى "بيرمان" أن الموضوع واحد إن تناولناه من زاوية المترجم أو من زاوية الترجمة.

غير أن "بيرمان" وهو يتتبع فكر "بنيامين" المعروف بالغموض كونه مبطنا بالتحليل الفلسفي، نجده في بعض الأحيان يلتصق بالنص الأصل إلى درجة لا يكاد القارئ يميز عندها أفكار "بيرمان" عن أفكار "بنيامين". ولعل هذا يرجع إلى شدة التحام الفكرة بالأسلوب لدى هذا الأخير، بحيث يتعذر قولها بغير ما اختاره هو قولها به.

وعليه اختار "بيرمان" إستراتيجية التعامل مع المفاهيم والمصطلحات، بدلا من الطرح العام للأفكار. وهو الأمر الذي يضطرنا إلى الرجوع بين الفينة والأخرى إلى الترجمة الفرنسية للنص الأصل لـ: "بنيامين"، حفاظا على هامش من الموضوعية يسمح لنا- في حدود فهمنا - بالتمييز بين أفكار الرجلين.

وعند هذه المرحلة من معاينة عنوان النص "مهمة المترجم"، يتوجه "بيرمان" إلى البحث في دلالات كلمة "مهمة" « tâche ». حيث بدا له أن "بنيامين" يريد بها معنى آخر غير المعنى المباشر الذي تدل عليه كلمة « tâche » في الفرنسية. أي أن اللبس عنده ناتج عن ترجمة كلمة « Aufgabe » الألمانية بـ: « tâche » الفرنسية. ذلك أن كلمة « Aufgabe » أخذت في العصر الرومانسي حمولة دلالية مختلفة عن الدلالة الأصلية التي كانت منحصرة في معنى المسئولية والواجب. وهما دلالتان محملتان بثقل أخلاقي ينوء به كاهل المترجم

ويجعله محط ريبة وتخوين.[10] بينما مشتقة من كلمة « Auflösung » التي تعني في قاموس الرومانسيين "الحلّ" « solution »، التحليل « dissolution » أو"البتّ" « résolution». وعليه فـ: "المهمة تكون دائما في مواجهة حالة من الأشياء بحاجة إلى الحل أو التحليل."[11]

إنه المفهوم الفلسفي بامتياز هذا الذي يضفيه "بنيامين" إلى الترجمة، حيث استطاع بحذق شديد ونسج خفي بارع، أن يمتح من المنطق، التحليل الكيميائي والموسيقى معايرا للعمل الترجمي.حيث يرجع معنى الحل « solution » إلى المنطق (منطق مشكلة)، بينما معنى « (dis)solution » محله المعجم الكيميائي (المتعلق بالمادة)، في حين نجد « (ré)solution» ذات معنى متعلق بالتناغم الموسيقي."[12]

وتغدو محصلة معنى "مهمة" المترجم؛ الاضطلاع بإجراء من الإجراءات الثلاثة الآتية: حل مشكل، أو تحليل مادة مستعصية، أو تنظيم تنافر أصوات موسيقيا."[13] ولكن في أي مستوى يتم الحل أم التحليل الذي تقوم به الترجمة؟ إنه المستوى المحايث للترجمة: مستوى اللغة « langage » أو اللسان« langue » . وبهذا الصدد يرى "بنيامين" أن العامل الأول المعتمد في التنظير للترجمة إنما هو العامل اللساني بالأساس. حيث أنه "من الضروري تأسيس مفهوم الترجمة في المستوى الأكثر عمقا للنظرية اللسانية، وهو ذو البعد الأكثر قوة."[14]

ومن هذا فأحسن ترجمة عند "بنيامين" هي تلك التي لا تخدم لغة على حساب أخرى، ولكنها التي تنجح في أن تدع العلاقة القائمة بين اللغات شفافة تتراءى من خلال الفعل الترجمي نفسه.[15] وبهذا يكون "بنيامين" قد أبعد الزعم التقليدي الذي جعل للترجمة غاية بعينها لا تعدوها وهي النقل والتوصيل. كما أبعد في الوقت نفسه عن كاهل المترجم، ثقل الأمانة والمسؤولية اللتين تحدان من حريته ولو بنسب قليلة. وهذا ما أعاد النقاش من جديد حول العلاقة بين اللغــة والترجمة.

3- اللغــة والترجمة: ميتافيزيقا اللغــة.

تعتبر نظرية اللغة عند "بنيامين"، المنطلق الأساس لنظريته حول الترجمة. فاللغة في وظيفتها الجوهرية تقوم بتسمية الأشياء « nomination des choses »، والمفترض وفق هذا أن تكون اللغة لغة واحدة. بينما الواقع يشي بأن اللغة الإنسانية، أو "اللسان الآدمي" [نسبة إلى ادم] « la langue adamique » تفتقد إلى هذه الخاصية الجوهرية أي قدرة التسمية. ومن ثمة تنوعت ألسنة البشر، وتعددت لغاتهم؛ وأصبح الشيء الواحد ينعت بألفاظ عديدة، وهو ما أفقد الأشياء خصوصيتها، بله هويتها. وقد وجدت الشعوب الإنسانية إزاء هذا الوضع في حالة من البلبلة في التواصل بفعل اختلاف ألسنتها. ولم يجدوا مخرجا من هذه المعضلة إلا الترجمة.

وقد شدد "بيرمان" وهو يتناول أفكار "بنيامين" على نقد هذا الأخير للغاية التي حددها المنظرون التقليديون للترجمة وأنها مجرد نشاط لغوي، وظيفته الأساس والوحيدة هي أنه واسطة بين ثقافتين مختلفتين في اللسان، فالترجمة ليست إلا ناقلا من هذه إلى تلك وبالعكس بينما هي في حقيقة أمرها إبداع في حد ذاته. ولهذا يغدو من العبث اعتبار، أن غاية كل مترجم هي أن يجعل النص المترجم شبيه بالأصل، إنما الترجمة " طريقة لقياس ما يجعل اللغات أجنبية [غريبة] بعضها عن بعض."[16]

وأصل الفكرة عند " بنيامين" هو أن الكلمات وإن اختلفت في الشكل: نطقا أو كتابة بين لغة وأخرى، مثلا "خبز" في العربية، و« pain » في الفرنسية، و« brot » في الألمانية، و« bred » في الانجليزية، فإنها قد تبدو للوهلة الأولى وفي ظاهر الأمر، أنها تحمل إشارة إلى مدلول بعينه. غير أن حقيقة المسألة ليست كذلك، حيث أن الفارق بين اللغات والألسن له تأثير في إحداث فارق في المعنى الثقافي والحضاري وحتى النفسي الذي تحمله تلك الأسماء في لغاتها. فدلالة الأشياء لا تكمن فيها بل في الكيفية التي تتم بها الإشارة إلى الأشياء. وهذه الكيفية هي التي تسمى بالصيغة « le mode »، التي تصنع الفارق بين اللغات أو الألسن. وهو ما يحفظ لها خصوصية هويتها، ومن ثمة، لا يمكن لأي منها أن تلتقي مع الأخريات. وعلى هذا الأساس

يرى " بيرمان" أن "مفهوم الترجمة لدى بنيامين يحتل مركزا جوهريا ضمن نظريته في اللغة بله أكثر مركزية مما عليه في الفلسفات التقليدية للغة."[17]

ويعتبر "بيرمان" أن فهم فلسفة اللغة عند "بنيامين" هو البداية الصحيحة لفهم كنه الترجمة عند هذا الأخير. فـ"أمام أعين "بنيامين" ينتمي مدلول عبارة "مهمة المترجم" إلى مجموعة أكثر اتساعا مما وضعه في الآخرين؛ إنه يرجع إلى حقل "ميتافيزيقا اللغة" « métaphysique du langage » الذي يحتل فيه مفهوم الترجمة الوضعية المركزية."[18] ولهذا فلا مناص لأي باحث يروم الكشف عن مفهوم الترجمة عند "بنيامين" من اللجوء إلى نصوص هذا الرجل حول اللغة واللغة الإنسانية عموما وقدرة هذه الأخيرة على المحاكاة على الخصوص[19]. ومن هذا الباب يعمد "بيرمان" إلى المبدأ الأساس الذي يقيم عليه "بنيامين" فلسفته للغة أو "ميتافيزيقا اللغة"، عند "بنيامين"و هو أن "اللغة هي بمثابة السكن الذي يضم كل حقيقة، أو أنه قصرها السلفي."[20] وهو جوهرها أساسا.

وهكذا نجد أن إشكالية اللغة عند "بنيامين"، تمس العلاقة بين الكلام والكينونة، أو بين العلامات والعالم الذي ترجع إليه، أي أنها إشكالية أنطولوجية بالأساس. حيث يعتبر "بنيامين" أن اللغة مهما أوتيت من سلطة وقوة، فإنها لا تستطيع أن تدل على الحقيقة التي تبقى قابعة في قلب ذلك القصر السلفي الذي هو سكنها الدائم. ولهذا نجده "ينتقد النظرية التي ترى أن اللغة ما هي إلا مجرد وسيلة للتواصل أو نسق بسيط للعلامات."[21]

ولكن أن تكون اللغة عند عارية من الوظيفة التواصلية، فهذا لا يعني أن علاقة لها بالتواصل مبتورة مطلقا، وإنما يتعلق الأمر عنده بترتيب في الأولويات بحسب فلسفته في اللغة، وهي الأفكار التي يدين بها لفلاسفة القرن الثامن عشر في ألمانيا وعلى رأسهم "كانط" « Kant ». حيث استثمر "بنيامين" أفكار "كانط" عن "العقل الخالص" « raison pure »، وطرحه لقضية ميتافيزيقا العقل، ومن هذا الباب يغدو اللسان هو جوهر العالم الذي تولد اللغة بوساطته.

ولهذا يعتبر "بنيامين" أن "اللغة كائن وهي الوسيط الذي يُعلن به جوهرُها الروحي عن نفسه."[22] وليس لهذا الكلام معنى إلا أنه ينفي نفيا مطلقا أن تحصر اللغة في وظيفة التواصل فحسب إنما ينظر للغة في ذاتها ولذاتها. وهكذا تصبح اللغة عند "بنيامين" وسط كل تواصل، بيد أنها ليست تواصلا في حد ذاتها[23]. ولنا أن نسأل حينئذ عن علاقة هذا المفهوم "البنيامينـي" للغة، بتصوره للترجمة؟ أو بتعبير آخر ما علاقة الترجمة بالتواصل؟

4- الترجمة والتواصل: العلاقة المعضلة..

ينطلق "بيرمان" في عرضه لوجهة نظر "بنيامين" حول الترجمة والتواصل من أن هذا الأخير لم يكن يريد إنشاء نظرية للترجمة في كتابه "مهمة المترجم"، وإنما هي مجرد ملاحظات استخلصها الرجل من احتكاكه بعالم الترجمة سواء من تأملاته في اللغة والفن، أو من قراءاته للكتب المترجم وبخاصة الدينية منها[24]، أو حتى من ممارسته المحدودة - والفاشلة حسب قوله - للترجمة، عند قيامه بترجمة بعض أشعار "بودلير" "لوحات باريسية" المنشورة سنة 1923 وهي التي دبج لها استهلالا بعنوان "مهمة المترجم".[25]

يرى "بيرمان" أن "بنيامين" يقيم بناء تصوره للترجمة على ثلاث ركائز هي عنده بمثابة مسلمات: "[1] الترجمة هي ترجمة للأعمال،[2] جوهر الترجمة يستخلص من جوهر الأعمال،[3] جوهر الأعمال ليس تواصلا."[26] وعند هذه النقطة يثير "بيرمان" إشكالية أخرى ذات علاقة بحقيقة الترجمة التي يريدها "بنيامين" وقد جعل من فلسفته للغة أساسا لها. فهل يمكن أن توجد ترجمة في ذاتها ولذاتها؟

بينما يرى "بيرمان" أن سبب الغموض الذي يكتنف فكرة الترجمة عند "بنيامين" يرجع إلى جملة في كتابه "مهمة المترجم" لم تنل حقها من الترجمة الصحيحة، ولعل ما كانت تبديه هذه الجملة من التناقض في ظاهرها، هو ما جعل مترجم "مهمة المترجم" الفرنسي "كونداياك" يحجم عن ترجمتها. في حين يرى "بيرمان" أنها تمثل الحجر الأساس في فهم تصور "بنيامين " للترجمة، ولهذا عمد إلى ترجمتها بنفسه.

يقول "بنيامين" في هذه الجملة:

« …aucun poème ne vaut pour le lecteur, aucun tableau pour le spectateur, aucune symphonie pour l'auditoire »[27]

إن القصيدة أو اللوحة أو السيمفونية كل أولئك لا "تساوي" شيئا عند الجمهور، قارئا كان أم مشاهدا، أم مستمعا. فهي ليست بحاجة إليه في إثبات وجودها، فكينونتها مستقلة بذاتها و"لا يمكن حينئذ أن تُحدد انطلاقا من الاستقبال، بل لا يمكن أن تعتبر رسائل بالمرة.[28]

ومهما كان نوع الأعمال من حيث الجنس أو النوع، لغوية أو غير لغوية، فإنها تبقى في النهاية أعمالا لكل الناس، ولا لأحد منهم في الوقت نفسه. فـ"بنيامين" بهذا يرفض نظرية الاستقبال أو التلقي ويكون بهذه الخطوة قد فتح مجالا للتفكير من جديد في الترجمة بعد هيمنة النظريات التقليدية عليها ردحا من الزمن غير قصير.

ولهذا فلا مناص للدارس من أن يعالج العمل في ذاته ولذاته، مبتعدا ما أمكنه ذلك عن محاولة إدراكه بوساطة البحث في أثاره والوقوف عند تأثيراته. وبهذه الخطوة النوعية يرى "بيرمان" أن"تفكير"بنيامين" حول الفن والترجمة خارج عن علم الجمال"[29]

فهل نفهم من هذا أن "بنيامين" يرفض نظرية الاستقبال جملة وتفصيلا، أم أنه يعيد ترتيب الأولويات فحسب أي أيهما أحق بأن يتقدم على الآخر: العمل أم الاستقبال؟ وليصبح مفهوم الترجمة حينئذ مرهونا بطبيعة الإجابة عن السؤال السابق.

وفي خطة ثانية، يستعين "بيرمان" بما جاء في الفقرة الثانية من الترجمة الفرنسية لـ"مهمة المترجم" مؤكدا على فكرة "بنيامين" القائلة بأن العمل والعمل فحسب هو الذي يحدد كيفية استقباله، والتي تنبثق من داخله، لا أن تفرض عليه من خارجه.

يقول "بنيامين":

« Mais que « dit » une œuvre littéraire ? Que communique-t-elle ? Très peu, à qui la comprend. Ce qu'elle a d'essentiel n'est pas communication, n'est pas énonciation. »[30]

فإذا كان العمل الأدبي عند "بنيامين"، لا يقول إلا القليل، ولا يوصل إلا النزر اليسير، وهذا حتى بالنسبة للذي هو يفهمه. والسبب في ذلك أنه ليس تواصلا وليس تلفظا. في هذه الحالة "ما الذي يأمل المترجم فعله؟"[31] إنها إشكالية محورية في تاريخ الترجمة الحديث ونظرياتها خاصة، ولنظرية الأدب عامة والشعر عامة.

ولمحاولة البحث في هذه الإشكالية "البنيامينية" للترجمة، والعمل على تفسيرها يلجأ "بيرمان" هذه المرة أيضا إلى إعادة ترجمة عبارة لـ"بنيامين" وجد أن الترجمة الفرنسية لم تف بمعناها المطلوب وهي:

الترجمة الفرنسية (كونديالك):

« Une traduction ***est-elle faite*** pour les lecteurs qui ne comprennent pas l'original ? [32]

إعادة الترجمة لـ "بيرمان":

« Une traduction ***vaut-elle*** pour les lecteurs qui ne comprennent pas l'original ? [33]

مثل هذا التساؤل يطرح إشكالية طالما أرقت المترجمين وهي التي تتعلق بالنص الأصل وترجمته، وبشكل أدق قضية التكافؤ « équivalence ». غير أن "بنيامين" وفق ترجمة "بيرمان" لهذه العبارة يطرح القضية وفق ثنائية جدلية تحت مبدأ "إمكانية الترجمة" وتعذرها « traduisibilité » « intraduisibilité » ذلك أن تصور "بنيامين" العام للترجمة قائم على نظرية اللغة عند "بنيامين".

فـ"بنيامين" يعتبر أن اللغة - اللغة الإنسانية - أسمى من الأشياء التي تشير إليها وعليه فإن اللسان « langue » عنده، ليس هو الذي يميز الإنسان عن الكائنات كلها. إنما اللسان هو هذا العالم الذي بوساطته يُولد الكلام ذاته. فاللسان، هو لسان الحقيقة التي تنكشف عند تحليل الفكر الإنساني، وتفسير ذلك قائم في لب النظرية المرجعية لبنيامين ذاته. وما الترجمة حينئذ إلا محاولة نقل ما ينشأ في فكر المتعامل مع اللسان من تلك الأسرار الخفية من لسان في آخر. [34]

ولحرص "بيرمان" على الكشف عن نظرية "بنيامين" في الترجمة راح يدقق في بعض المصطلحات التي يراها محورية في

المقولة السابقة. وقد اطمأن إلى الهدف العام للترجمة عند "بنيامين"، وهو "احترام اللُحمة اللسانياتية للنص. فترجمة نص نثري ما، تعني قبل كل شيء إعادة إنتاج هذه اللحمة، التي يصنع تماسكها، نسقها، منطق إقناعها، وبالتأكيد، وحدتها."[35] ولعل أهم هذه الكلمات القاعدية حسب "بيرمان" هي الفعل « verstenhen » الذي يقابله في الفرنسية « comprendre » أي "الفهم".

يلاحظ "بيرمان" أن "بنيامين" في "مهمة المترجم"، يستعمل الفعل "فهم" في موضعين مختلفين: الأول يقع في بداية النص، حيث وظفه عند الحديث عن اللغات الأجنبية. والموضع الثاني، عند حديثه عن الشعر. وعندها يطرح "بيرمان" السؤال الآتي: "هل فهم لغة أجنبية ما مماثل لفهم الشعر؟"[36] ومعلوم أن استفهام "بيرمان" في هذا الموقع من تعليقه على "بنيامين"، ليس استفهاما حقيقيا يطلب به معلومات يجهلها. إنما هو تساؤل حول كيفية تسوية "بنيامين" بين فهم اللغة، وفهم الشعر، بينما هناك فارق بينهما، إذ أن نسج « tissu » اللغة غير نسج الشعر. فالنص الشعري وإن كانت أداته اللغة، فإن له نسيجه القاعدي المتمثل في تلك الشبكة المفاهيمية الأكثر صرامة، والمنضوية تحته وهي التي تميزه.

ومن ثمة "يجب على الترجمة أن تحترم صيغة اندماج هذه الشبكة في نسيج النص." [37] ويعتبر "بيرمان" أن الإجابة عن سؤال من مثل: ما قيمة الترجمة بالنسبة للذين لا يفهمون الأصل؟ إنما لتحديد قصدية « intentionnalité » وجوهر الفعل التُرجمي (بما في ذلك أشكاله وكيفيته « son comment »)[38] حيث يتم بوساطة ذلك معرفة التمييز بين المصطلحات المشكلة للنسيج الكلامي « tissu verbal »، والتصورات المشكلة للنسج المفاهيمي « tissu conceptuel » وتتم ترجمة كليهما بصرامة.[39] وعند هذه المحطة من تتبع آراء "بنيامين" في الترجمة، يثير "بيرمان" قضية تعذر ترجمة الأعمال « L'intraduisibilité des œuvres » وهي الفكرة الناتجة عن فكرة أن التواصل ليس هو جوهر الترجمة.

5- قابلية الترجمة/ تعذر الترجمة:

يمكن القول: إن قضية قابلية الترجمة، « traduisibilité » أو تعذرها « intraduisibilité »، من المحاور الأساس التي تقوم عليها نظريات الترجمة؛ قديمها وحديثها بل هي الميزة الجوهرية التي تُصنف على أساسها تلك النظريات. وقد أسالت هذه المسألة حبر عديد من المفكرين في مجال علم الترجمة بفرعيه؛ النظري والتطبيقي. فهذا "جاك دريدا" « Jacques Derrida » أحد زعماء التقويضية « Déconstruction » يخوض في مجال مناقشة الترجمة، لا للترجمة في حد ذاتها بل لتعميق وإثراء أطروحاته حول اللغة، الكتابة والقراءة. فالتفكير في اللغة عنده هو جوهر التفكير في طبيعة الترجمة ذاتها. فمن جانب حديثه عن اللغة يتوسل "دريدا " بالترجمة لـ"إثارة الأسئلة حول طبيعة اللغة أو ما يطلق عليه الوجود في اللغة -Being « in-Language"[40]. ويرى "دريدا" في الترجمة ذلك المعاند للتقويضية من باب أن ترجمة النصوص تسمح بشكل جلي، الكشف عن مظاهر تجلي "الإخـ(ت)لاف" « Différance » التي هي كما هو معلوم، أساس المقاربة التي يتبناها التقويضيون أنفسهم.

ويعتبر "دريدا" أن المشروع التقويضي، ونظرية الترجمة يصدران كلاهما من مشكاة واحدة. بل ذهب "دريدا" إلى أبعد من ذلك مقرا بأن الترجمة من المنظور الفكري هي أصل الفلسفة؛ حيث "إن عملية الترجمة تظهر شكلا من أشكال "الاختلاف/ الإرجاء" الذي يقوّض أشكال التفكير الميتافيزيقي التقليدية، تلك التي هيمنت تاريخيا على المسائل المتعلقة بالترجمة على الخصوص، وبالفلسفة عامة."[41] فـ"دريدا" بهذا التصور يجعل الترجمة في لبّ الفلسفة التقويضية القائمة على فكرة الاختلاف « différence » [42]. ولعل تفسير ذلك مردود إلى موقف "دريدا" من اللغة نفسها، حيث يرى في الكلمة حجر عثرة، أو شراكا يقع فيه كل من يعتبر أن المسمى متعلق بالاسم. فكيف الحال بالنسبة للترجمة إذا؟

ومن هذا الباب يستخلص "دريدا"، أن العنوان الذي اختاره "بنيامين" لكتابه، وهو "مهمة المترجم"، ينم عن أن المترجم نفسه يتحمل جانبا من المسؤولية غير قليل فيما يؤديه من مهام في الترجمة.

ومن ثمة يقوم الفعل الترجمي على حظ وافر من الالتزام، وكأنه ديْن « dette » على المترجم ردّه. وهذا ما يعزز الجانب الأخلاقي للترجمة « l'éthique de la traduction ».

ويعتقد "دريدا" عن اقتناع، أن المترجم لا يمكنه أن يوفي حق هذا الدين مهما أوتي من قوة وبراعة في التحكم في آليات اللغة؛ مصدرا أو مصبا. ولكن هذا لا يعفيه من الالتزام بشروط مهمته.[43] فـ"دريدا" إذا يتفق مع فلسفة اللغة عند "بنيامين" باعتبار أن الكلمة هي التي تخبئ قوة اللغة، وأن الكلمة بفقدانها لعلاقة المرجعية مع الأشياء، حولت تلك العلاقة المبتورة إلى علاقة طارئة أو عشوائية، أصبح فيها الواقع غريبا بغرابة اللغة. وعند التعامل مع الترجمة نجد أنفسنا أما واقع غريب هو اللغة المزمع ترجمتها. وهذا ما يعمق محنة المترجم في مهمته تلك.

وغير بعيد عن هذا الطرح الدريدي حول الترجمة والمترجم، يقدم لنا "هانري ميشونيك" « Henri Meschonnic »[44] مساهمته في الموضوع نفسه؛ الترجمة والمترجم، بين القابلية والتعذر. ولكن هذه المرة من زاوية مختلفة عمّا قدمه "دريدا".

فـ"ميشونيك" يتناول موضوع الترجمة من حيث القابلية « traduisibilité » والتعذر « intraduisibilité »، من زاوية ما يطلق عليه هو: "شعرية الترجمة" « Poétique de la traduction ». وهذا محاولة منه تجاوز معضلة الثنائية التقابلية: "النظري" مقابل "الممارسة" أو "التطبيق" « Théorie vs Pratique ». ولتجلية فكرته هذه نجده يرجع هو الآخرإلى أفكار "بنيامين" حول الترجمة، ويجعل منها منطلقا نحو بناء نظرية حول "شعرية الترجمة".

وبهذه الخطوة النوعية والفاعلة، نجد "ميشونيك" ينقل الفعل الترجمي « l'acte de traduire » من المستوى التواصلي إلى المستوى الدلالي. حيث تغدو الترجمة عنده ممارسة نظرية لدال نصي ما. وهذا يعني، أن "ميشونيك" يضع الفعل الترجمي في مستوى النص بعينه، مفضلا بذلك، المقاربة النصية « L'approche textuelle » على المقاربة التواصلية « L'approche communicationnelle »[45]. وبهذا " لا تغدو الترجمة [عنده] فعل

تدمير، بل تبيانا لاستمرارية النص."[46] وعندها، يصبح مستوى الترجمة بين نص ونص، لا بين لغة وأخرى. وليصبح حينئذ مفهوم "تعذر الترجمة" « L' intraduisibilité» عند "ميشونيك"، متعلقا بالفعل الترجمي نفسه؛ أي أن النص الذي تتعذر ترجمته، هو النص الذي لم يترجم بعد.[47]

وبالنسبة لـ"بنيامين" فإن مسألة إمكانية الترجمة من تعذرها، والتي تتعلق أصلا بالعمل، ليست مسألة مطلقة، بل نجدها مسألة نسبية في كثير من الحالات. ذلك لأنها مرهونة بطبيعة، وخصائص النص المصدر « texte source » نفسه. الذي يبقى في الحالات كلها مستعصيا على الترجمة التي هي في طبيعتها شكل دال « forme signifiante » يعمل على شكل دال آخر مختلف عنه في خصائص الشكل نفسه. وهذا ما يجعل مسألة القابلية للترجمة « traductibilité » مسألة غير بسيطة.

ولنا أن نسأل مع "بنيامين" السؤال الآتي:"هل يمكن أن يوجد من بين مجموع قراء عمل ما، مترجم يعد نفسه كفء لهذا العمل؟ أو هل يقبل هذا العمل من حيث جوهره - دلالة هذا الشكل - الترجمة ؟"[48] فإذا مسألة إمكانية الترجمة أو تعذرها، لا تخضع عند "بنيامين" إلى قواعد مضبوطة سلفا، وإنما هي صفة ملتصقة بالعمل ذاته لا تعدوه، والمترجم البارع، المبدع هو الذي يهتدي إلى خيوط إبداع العمل الأصل. فالترجمة بهذا الفهم البنيامين صيغة « mode »، إبداع للمعنى.

إن "بنيامين" بمحاولته لضبط مفهوم القابلية للترجمة، يضبط في الوقت نفسه، العلاقة بين العمل وترجمته. فإذا علمنا أن "بنيامين" يعتبر كل ترجمة إبداعا في حد ذاته، وليس لها والحالة هذه - وإن كان مبلغ طموحها - أن تضاهي الأصل. ذلك أن "بنيامين" يعتبر أن كل لسان « langue » هو لسان ناقص بطبيعته، وهو يطمح على الدوام لبلوغ درجة من اللغة الصافية « langage pur » التي لا يمكن له أن يدركها لولا الترجمة التي تسمح له بملامستها فحسب.

ومثل علاقة الترجمة بالأصل عند "بنيامين"، مثل علاقة المنحوتة بالمادة الرخامية؛ فهي ليست إلا مجرد شكل، قد تساهم في

إطالة حياة الأصل، وقد يعمل على تحويله وحسبها ذلك. وعليه، يرى "بنيامين" أنه" مهما كانت الترجمة جيدة، فلا يمكنها أبدا أن تكون ذات قيمة قياسا بالأصل."[49] ولتبقى الترجمة شكلا دالا فحسب، ولكن أي شكل؟

6- الترجمـة شكـل، وأي شكل...:

يحاول "بيرمان" انطلاق من عبارة "بنيامين"، "الترجمة شكل" « Une traduction est une forme »، بناء نظرية للترجمة بالمفهوم البنيامين. ولكنه يجد نفسه مضطرا من جديد لأن يراجع ترجمة العبارة بنفسه، حيث وجد أن ترجمة "موريس كانديك" « Maurice Gandillac » لها غير دقيقة، بل لا تنسجم مع ما طرحه "بنيامين" من قبل. فـ "ماذا تعني إذا كلمة شكل ؟ هل تعني أن الترجمة شكل أدبي؟ وإنه من غير المقبول أن تعتبر كذلك. إذ الترجمة ليست جنسا « genre » ؟ "[50]

و اعتمادا على هذا النقد، ينتقل "بيرمان" إلى البحث عن مدلول كلمة "شكل" في أدبيات الرومانسيين الألمان وبخاصة "جوته" « Goethe ».- باعتبار أن فلسفة بنيامين في اللغة تصدر من مشكاة الرومانسيين الألمان- وقد وجد " بيرمان" أن لفظة شكل عند "جوته" تحمل الجذر الدلالي للمعنى نفسه الذي نجده في كلمات: " تنظيم" « organisation »، أو "هيئة" « organisme » أو " مجموعة " « ensemble ». ومن ثمة، يستخلص "بيرمان" أن " الترجمة هيئة مخصوصة بعينها، محكومة بوساطة مبدأ تنظيمي، أي بقانون." (51) وعلى هذا يذهب "بيرمان" إلى اعتبار أن الأصل « L'original » هو الذي يجب الرجوع إليه دوما عند كل شروع في الترجمة ذلك أنه" هو الذي يتضمن قانون هذا الشكل، باعتباره إمكانيته للترجمة" (52).

والأخذ بفكرة أن الترجمة شكل، وأن الشكل قانون « loi » نجده عند "جاك دريدا" أيضا. بل نلفي أن هذا الأخير يذهب إلى أبعد من ذلك؛ وهذا عندما اعتبر أن النص الأصل « le texte original » هو القانون في حد ذاته والحال أن سلطة القانون تنبع من سلطة قراءته، ومطلوب من المترجم حينئذ أن فهم الأصل حتى يتمكن

من اختيار الطريقة التي يترجمه بها، إنه نوع من التزام المترجم إزاء سلطة النص الأصل. (53)

و يخلص "بيرمان" من مناقشته لمفهوم الشكل عند "بنيامين" إلى أن هذا الأخير كان يقصد من هذه المصطلح مفهوم القانون الذي يمكن أن يكون محايثا للأصل، وهذا القانون هو الذي عناه "بنيامين" – حسب بيرمان – بإمكانية ترجمة الأصل La traduisibilité de l'original » « وهكذا " تنبثق الترجمة بالتالي عضويا من الأصل باعتبارها " شكلا "، فهي بالنسبة لـ"بنيامين" من مجال الحياة، فحيث ما يكون شكل تكون حياة والعكس صحيح." (54)

وهكذا تتضح لدى "بيرمان" المهمة التي وضعها "بنيامين" على عاتق المترجم: مسؤولية، التزام، دين. فهذا الأخير مطلوب منه أن يكتفي بالعمل الذي هو مقبل على ترجمته، لا يبغي عنه حولا. فالعمل كل العمل ولا شيء غير العمل، فهو الذي يمد المترجم ب"خريطة عمل" أو بالكيفية التي يُترجم بها، كما أن مدلول كل من " إمكانية الترجمة"« traduisibilité » و"تعذر الترجمة" « intraduisibilité » لا يأخذان شرعيتهما إلا من العمل ذاته لا من خارجه. وهذا مع اعتبار أن مثل هذه المهمة تبقى بالطبع خطوة غير محسوبة العواقب، بله جريئة جدا. (55)

و لاستكمال هذا التصور البنياميني للترجمة ومهمة المترجم، يعرج "بيرمان" إلى الحديث عن رؤية « visée » الترجمة عند "بنيامين". يميز "بيرمان" في هذه الحالة، بين "رؤية ترجمة العمل" La » « visée de traduction de l'œuvre، و" رؤية الترجمة" La » « visée de la traduction: فرؤية ترجمة العمل، هي " ما يريد العمل أن يُترجم إليه، أي ما ينتظره العمل من الترجمة ". وأما "رؤية الترجمة" (la visée de la traduction) فهي الترجمة منظور إليها باعتبارها فعلا« La traduction comme acte ». و" الرؤية الأولى هي الحقيقة النهائية للترجمة، لأن صيغة إمكانية ترجمة العمل هي التي تفرض نفسها (بصورة مثالية) على الدوام، بينما الرؤية المألوفة والاعتيادية للترجمة – وهي إعادة إنتاج النص على "علاّ ته" – يبقى سراب الترجمة الأكبر." (56)

وهكذا يتبين لنا أن الترجمة عند " بنيامين" ملتصقة بالنص المصدر « texte source »، ولتصبح عندئذ مهمة المترجم، محاولة استبصار لترجمة نص، وهو الاستبصار الذي يستشف من ثنايا النص الأصل نفسه. وهذا مع الإقرار بأن يبقى للترجمة نصها الخاص بها، والذي لا يمكن أن ينسب إلى النص الأصل. ذلك أنه لكل كلمة سياقها الخاص بها، ولها لغتها الملتبسة بها، وأن الحرفية تضع حدا لكل من يحاول استرجاع معنى ما، وأن أية محاولة فيها الاتجاه، سينتج عنها الغموض والاضطراب.

وهذا ما يجعل الترجمة عند "بنيامين" خلقا في حد ذاته، وإبداعا للمعنى لا ناقلا له فحسب. وعليه فـ" بدلا من أن تجتهد الترجمة في أن تضاهي الأصل، حري بها أن تتبنى في لغتها الخاصة، بمحبة وإلى حد التفصيل البعيد صيغة رؤية الأصل. وهذا بغرض التمييز بين الأصل والترجمة " (57) وهذا بسبب التباين الفني بين الترجمة والأصل.

وبهذا التصور الذي ينظم العلاقة بين النص الأصل وترجمته، يكون "بنيامين" – حسب "بيرمان" - قد فصل وإلى دون رجعة بين "الأمانة" « fidélité » و"الحرية" « liberté » حيث غدا لكل منهما جوهره الخاص به، وهو الأمر الذي عمّق الهوة بينهما. ذلك أن " الترجمة باعتبارها استرجاع للمعنى « « sens » restitution du « حيث تجد ذات المترجم «حريتها" متجاوزة بهذا إشكالية الحرفية « littéralité » ، بينما الترجمة في حقيقتها ما هي إلا إنتاج « production » - من خلال هذه الحرفية – للصفاء اللساني La » « pure langue تواجه وضعا معينا وهو أنه في كل لسان وفي كل عمل هناك معنى." (58) فما الصفاء اللساني؟ وما علاقة الترجمة بالصفاء اللساني؟

7- سلطة الترجمة:

لقد أكد "بنيامين" أنه مهما حاولت الترجمة أن تكون وفية للأصل، فإنها لن تستطيع أن تفي بالمعنى الكامل للكلمة في لغة الأصل. وهذا هو العائق – الطبيعي عنده – الذي يلازم في الغالب أية ترجمة. وتبعا لهذ المبدأ، اعتبر "بنيامين" أن " الترجمة الحقيقية هي التي تكون

شفافة، لا تُخفي الأصل، ولا تبزه أو تخسفه. إنما تبحث في الأصل عن الصفاء اللغوي" (59)

إن " بنيامين" بمنظوره للفعل الترجمي هذا، يسعى إلى توضيح وإرساء العلاقة بين الأصل وترجمته؛ يرسم حدود الترجمة، يحدد طبيعتها ويبين وظيفتها. فالأصل مرئي ومُدرك، تُشتمُّ رائحته من ثنايا الترجمة، التي عليها هي الأخرى أن تحتفظ بخصوصيتها. وهذه لعمري مهمة محسوبة وحساسة بله خطرة التي حملها "بنيامين" المترجم، والذي عليه أن يبقى وفيا للأصل مع هامش من الحرية محسوب اتجاه لسان الوصول « langue d'arrivée ». فالمترجم بهذا مرتبط على حد قول "دريدا" بعقد مطلق"« contrat absolu » لا يمكنه التخلص منه، ولا يستطيع أن يوفيه حقه، ومع ذلك نجده يلتزم به.

غير أن هذه المعادلة التُرجمية البنيامينية، لا تتحقق عند "بنيامين" إلا بوساطة ما يطلق عليه هو مجازا: الصفاء اللغوي « pur langage ». وهي العملية التي يضطلع بها المترجم انطلاقا من أفق ترجمته. « L'horizon du traducteur » الذي هو " مجموع الإحداثيات اللغوية؛ الأدبية، الثقافية والتاريخية التي "تحدد" شمّ « sentir »، وتصرّف« agir » وتفكير« penser » مترجم ما." (60)

وفي مناقشته لمفهوم الصفاء اللساني عند "بنيامين"، يرجع " بيرمان" إلى النص الأصل " مهمة المترجم" ل "بنيامين"، حول "الصفاء اللساني" (61):

« Cette pure langue qui vise plus rien et n'exprime plus rien, mai qui est visée, en tant que parole sans expression et créatrice, dans toutes les langues. » (62)

يعتبر "بيرمان" أن هذا المقطع هو من أعقد المقاطع وأصعبها في كتاب "مهمة المترجم" ل" و. بنيامين". فهو لا يتحدث عن لغة بعينها عندما يحدثنا عن " الصفاء اللساني"، وإنما يطرح هذا المفهوم من باب تنوع اللغات وتعددها. ولهذا يسلك "بيرمان" في التعليق على هذا المقطع

طريق تحليل المصطلحات وما يمكن أن تحمله من دلالات من منظور فلسفة اللغة عند "بنيامين".

يتناول " بيرمان " في البداية مصطلح " الصفاء اللساني" « pur lange » الذي يقرنه ب (63)« la pure lettre de l'œuvre » " الحرفية الخالصة للعمل" وبالنسبة إليه هذه هي "سلطة الترجمة" « le pouvoir de la traduction ». وإذ أن " بنيامين" يسعى إلى تناول اللغات الإنسانية كلها في تنوعها، ودون تمييز بينها أو محاولة استبدالها بلغة عالمية على غرار الاسبيرانطو مثلا أو لغة مهيمنة كالأنجلزية، فإن اللسان الذي ينشد صفاءه " بنيامين" هو اللسان الطبيعي أو لسان الشفهية. ومن هذا يستخلص " بيرمان" قائلا: " بالنسبة لنا، فإن الصفاء اللساني هو، في نهاية تمامه واكتماله، اللسان الطبيعي. وهذا اللسان الطبيعي هو لسان الشفهية.» [64] وكأن المقصود هنا ب" الصفاء اللساني" هو ما تضمره الألسن من القول من مقصد مشترك في تواصل بعينه، وإن اختلفت تلك الألسن وتنوعت في مظهرها الصوتي. فالصفاء اللساني بتعبير النقاد المعاصرين هو ذلك "المسكوت عنه " « le non dit » بين اللغات كلها.

و بعد هذا التعليق والمناقشة، يعالج " بيرمان" مصطلح « créatrice » " خلاّق" الذي جعل منه " بنيامين" صفة لازمة للصفاء اللساني. وقد بنى "بنيامين" تصوره هذا على مبدأ أن تقييم الترجمة ينبغي ألا يستند إلى معايير من خارج جوهر الترجمة نفسه، ذلك أن الذي يؤخذ في الحسبان في هذه الحالة هو " بالتأكيد علاقة الإنسان بالحرف، الحرف المُؤسِس."[65] ويؤكد "بيرمان" في هذا الصدد أن الترجمة عند "بنيامين" لا تعنى اختيارا بين احتمالين: المعنى أو الحرف. إنما يصدر "بنيامين" عن " تفكير تأملي نظري في علاقة المعنى بالحرف في الترجمة"[66] ومثل هذا التصور نجد جذوره في فلسفة اللغة القائلة بأن الإنسان هو الذي يسكن اللسان، وأن المعنى ينبثق من تلك العلاقة " الروحية "بين كينونتين مختلفتين إلا أنهما متداخلتين؛ كينونة اللسان وكينونة الإنسان.

ومثل هذا التصور، نجد بذوره في الفلسفة "الهيديغارية " « Le Heideggerisme » - نسبة ل: "مارتن هيدغر « Martin

« Heidegger- هذا الفيلسوف اللامع والمتميز بمناقشته الحادة والعميقة لقضية " معنى الكينونة". حيث خالف في هذه المسألة التفكير الأنطولوجي التقليدي - الذي يرجع إلى "أرسطو" « Aristote »- والذي كان يعتبر أن مسألة المعنى مسألة إسنادية أو إحالية بالأساس. بينما يرى "هيدغر" أن الكينونة « l'être » جوهر في حد ذاتها، نموذج فريد وهي الفكرة التي جُمعت في مصطلح « Dasein » الذي أطلقه "هيدغر" على الإنسان ذاته باعتباره "نهاية" « finitude »[67] وهي الفكرة التي تعامل بها "هيدغر" مع اللسان باعتباره هو الآخر كينونة.

بيد أنه لم يعن في تفكيره هذا بالترجمة بشكل دقيق وواضح. وقد أخذ " بنيامين" بهذا التصور وجسده في مصطلح "الـ"صفاء اللسان" حيث تأثر ب"هيدغر" عند اعتباره بأن " الصفاء اللساني هو اللسان الذي في أفضل حالاته غير دال عن العالم."[68] وعلى هذا فإن مفهوم مصطلح "خلاق" « créatrice » الذي نسبه " بنيامين" للسان إنما يعني " خلاق عالم« créatrice- de- monde » ، هذا الـ"صفاء اللسان" السابق عن كل تعبير وتواصل، هو الذي يرسي عالما ما."[69]

و عليه يرى "بنيامين" أن أي عمل ما، يحمل في طياته دلائل إمكانية ترجمته. وهي الوضعية التي تسمح – حسب بنيامين – بتخفيف التدافع والتزاحم الموجود بين نزعتي الأمانة والحرية لدى المترجم. وبدافع إيثار"صفاء اللسان"، يعتقد " بنيامين" أن هذه الصفية كفيلة بأن يجد فيها المترجم هامشا من الحرية إزاء لسانه ولسان العمل المزمع ترجمة، فضلا عن لغة الترجمة ذاتها. فالترجمة هي حينئذ تطوير وتحويل للألسن في نهاية المطاف.

وهكذا تظهر أهمية كتاب " أ. بيرمان" "عصر الترجمة " كونه من نتاج أحد أكبر منظري الترجمة في هذا العصر. وكم هي شروحه اليوم ثمينة وغنية لأفكار " و. بنيامين" التي طالما استعصت على كثير من الدارسين والمهتمين بالترجمة وعلومها. ولعل هذا ما يغري بالعودة إلى هذا الكتاب الذي لم ينضب معينه بعد لمن يريد أن يعب من معينه.

هوامش:

01-Walter Benjamin, *La tâche du traducteur*, trad. M.de Gandillac, Œuvre I, Paris, Gallimard (Folio Essais), 2000.

02-Antoine Berman, L'Âge de la traduction, « La tâche du traducteur » de Walter Benjamin. Un commentaire.2008, Coll: intempestives, PU Vincennes, p12.

03-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p17.

04-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p17.

05-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p39.

06-Voir, Antoine Berman, L'âge de la traduction, p39.

07-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p39.

08-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p39.

09-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p39.

10-Voir Antoine Berman, L'âge de la traduction, p40.

11-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p40.

12-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p40 .

13-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p40.

14-Walter Benjamin, Sur le langage en général et sur le langage humain, Œuvre I, trad. M de Gandillac, revue par Rainer Rochlitz ; Gallimard, Paris, 2000, p157.

15- Walter Benjamin, Sur le langage en général et sur le langage humain, pp155à157.

16- Walter Benjamin, Sur le langage en général et sur le langage humain, p.252

17-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p22.

18-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p22.

19- Voir, Antoine Berman, L'âge de la traduction, p21.
20- Antoine Berman, L'âge de la traduction, p22.
.22-23Antoine Berman, L'âge de la traduction, p.21-
22-Walter Benjamin, *Sur le langage en général et sur le langage humain*, op cit, p165.
23-Voir, Antoine Berman, L'âge de la traduction, p22.
24- Voir, Antoine Berman, L'âge de la traduction, p32.
25- Michaël Oustinoff, *La traduction*, PUF, Paris, 2003, p58.
26- Antoine Berman, L'âge de la traduction, p46.
27- Antoine Berman, L'âge de la traduction, p47.
28- Antoine Berman, L'âge de la traduction, p47.
29- Antoine Berman, L'âge de la traduction, p48.
30 -Antoine Berman, L'âge de la traduction, p49.
31 -Antoine Berman, L'âge de la traduction, p50.
32- Antoine Berman, L'âge de la traduction, p50.
33- Antoine Berman, L'âge de la traduction, p51.
34-Voir, Walter Benjamin, Sur le langage en général et sur le langage humain, op cit, p157.
35-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p51.
36- Antoine Berman, L'âge de la traduction, p51.
37 -Antoine Berman, L'âge de la traduction, p51
38-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p51
39 -Voir, Antoine Berman, L'âge de la traduction, p51

40-إدوين غينتسلر، *في نظرية الترجمة*: اتجاهات معاصرة، ترجمة: د سعد عبد العزيز مصلوح، المنظمة العربية للترجمة، ط2،2001، ص347.
41-إدوين غينتسلر، في نظرية الترجمة: اتجاهات معاصرة، م س، ص 349.
42-Voir, Jacques Derrida, *Psyché, invention de l'autre*, « des tours de Babel » Paris, Galilé, 1998, pp203-219.
43 - Jacques Derrida, *Psyché, invention de l'autre*, « des tours de Babel » Paris, Galilé, 1998, pp203-219. p.219.
44-Henri Meschonnic, *Pour la poétique II.* Epistémologie de l'écriture. Poétique de la traduction, Paris, Gallimard, 1973.
45-Voir, « L'approche Poétologique » ; in, Mathieu Guidère, Introduction à la traductologie, de boeck, Bruxelles, 2010, pp52-55.
46-Henri Meschonnic, Pour la poétique II. Op cit, p.301.
47-Voir, Henri Meschonnic, Pour la poétique II. Op cit, pp.351-354.
48-Walter Benjamin, La tâche du traducteur, op cit, p245.
49-Walter Benjamin, La tâche du traducteur, op cit, p.246.
50-Antoine Berman, L'âge de la traduction , p.54.
51-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p.54.
52-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p.54.
53-Voir, Jacques Derrida, Psyché, invention de l'autre » des tours de Babel, op cit, pp. 219

54-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p.55.
55-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p.63.
56-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p.63.
57-Walter Benjamin, La tâche du traducteur, op cit, p 257.
58-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p.174.
59-Walter Benjamin, La tâche du traducteur, op cit, p 257.
60-Michaël Oustinoff, La traduction, op cit, p. 64.
61- الملاحظ أن "بيرمان" يستعمل مصطلحين بمعنى واحد: langue " اللسان" وlangage " اللغة ".
62-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p.176.
63-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p.176.
64-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p.177.
65-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p.177.
66-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p.177.
67-Voir, *Heideggerisme*, in: Grand dictionnaire de la PHILOSOPHIE, Larousse, 2005, pp 474- 475.
68-Antoine Berman, L'âge de la traduction, p.177.
69- Antoine Berman, L'âge de la traduction, p.178.